اعبر عنه بالقلب ولا يزال مع قيامه بوظايف الايمان تغلب جنبة الكمال على
جنبة النقص حتى اذا تخلص من مقام الايمان اتحدت فيه جنبة الكمال الا انه
يبقى معها اثر من ذلك النقص كما يبقى اثر الجراحات بعد البرء وعند ذلك
اعبر عنه بالروح ولا يزال مع قيامه بوظايف مقام الاحسان حتى تذهب
تلك الاثار وتخلص تصفيته وعند ذلك اعبر عنه بالسر وربما اشكل
الامر فيما رقي اليه او رقي عنه فاعبر عنه بالباطن وقد اعبر ببعض الاسامي
عن مقتضيات بعضها على وجه الاتساع والمجاز وذلك في القليل وفي
الكتاب والسنة من ذلك كثير فلا تغتر بهذا فلنرجع الى ما يتعلق
بذكر الحضور فاعلم ان لكل ذكر له اختصاص بمعنى فالاذكار
مختلفة المعاني كما ان علل النفس مختلفة الانواع ولكل معنى من معاني
الاذكار اختصاص بزوال نوع من انواع علل النفس بالمناسبة الضرورية
التي بينهما وقد تقدم ان المقصود الاعظم هو طهارة النفس من عللها فلنسلك
على كل علة ما يضاد معناها من الاذكار حتى يأتي من اجله انفعال النفس وانطباعها
فانطبع معنى ذلك الذكر الذي يطرح ضده من العلل وترسخ لذلك الانطباع فيها
حتى تنمحي عن ضده وتستوحش منه ولتنبه الحر لكل ذاكر فلاهم والذكر له قوة
عجيبة واختصاص بديع في تحلية النفس بالصفات الحميدة وتزكيتها من الاخلاق
الذميمة لكن انما يكون ذلك مع استعمال الاذكار بشروطها المعروفة على
وجهها المالوف الماخوذ عن المشايخ الربانيين الوارثين العارفين فبذلك
تشتفي علل النفس بالجملة وتتخلص من امراض متعلقاتها وتتصفى من كدرات
مالوثاتها وتتحلى بحلية عالمها ولا يوجد هذا في غير الذكر ولذلك عظم
الشرع امره وبالغ في التحضيض عليه والترغيب فيه واقرب وسايل الذكر
ذكر اللسان اولا ثم ذكر القلب ثانيا ثم ذكر الروح ثالثا وذلك ان صاحب
البداية اذا اجرى لفظ الذكر على لسانه وتابعه الفكر بتدبر معناه المرة
بعد المرة انطبع مقتضى ذلك المعنى في النفس فحصل لها ذلك المقتضي
بما تضمنه من الصفات الحميدة وانتفى عنها ما يغايرها من الصفات الذميمة
وبحسب الدؤوب والمداومة على الذكر كما ذكر يكون استحكام انطباع النفس
بما يقتضيه الذكر من الصفات حتى يصير لها ذلك طبعا يصعب عليها

صح مقام

صح معناها

عليها العدول عنه وكانت له الجوارح تتبع النفس فيما تحلت به فتعمل
بمقتضاه وبذلك يظهر صدق اتصاف النفس بمقتضى الذكر الذي يذكره
ويردده وهكذا يكون العلاج التزكية عن الصفات الذميمة والتحلية
بالصفات الحميدة حتى اذا تصفت النفس من كدراتها واكتسابها
لفقها في ذلك هو المطلوب فائدة تقرر هذا ان ذكر اللسان يحرك الفكر لتدبر
معناه وتدبر معناه يحرك النفس للانبساط بمقتضاه والانطباع بمقتضاه
يتوقع به زوال ما بها من كدوراتها وتصفيتها وطهارتها وتصفيتها سبب للورود
على غير الخفايا ومطالعة الاسرار ومشاهدة حتى يفنى من لم يكن
ويبقى من لم يزل فانظر ما اعظم ثمرة الذكر وما اجل شانها ولذلك كان
الذكر اعظم الوسايل الى المعرفة بالله واشرف الطرق الموصلة اليه
فصل وكيفية الذكر على سبيل التربية بمعنى الحضور هو ان يسلك شاول
به سبيل العلاج فينظر القدوة الرباني الى الغالب على التلميذ من علل
نفسه فيامره باجتنابه والمجاهدة على تركه ثم يعمد الى الذكر الذي
يقتضي معناه مضادة تلك العلة فيامره بالتزام ترداده والمداومة عليه
بوظيفة يوظفها عليه عددا يقتضيه حاله فان كانت العلة مركبة من
علتين او اكثر فليركب له الذكر بالمعاني التي تقتضي مضادة ذلك التركيب
من علل النفس تركيبا بليغا وجيزا بسهولة اللفظ وجزالة المعنى فما اختصر
اللفظ واجزل المعنى فوق التاثير واسرع النفع لسرعة دورانه على الفكر
حتى لا يغيب الفكر عن ملاحظة معنى الذكر كلما انتهى الى الاخر عاد الى الاول
بسرعة فلا يكاد المعنى يغيب عنه واما اذا طال معنى الذكر وكثرت
الفاظه تشعبت معانيه على الفكر فاورثه تشعب ذلك ابطاء عن
المقصود في حال التلاوة فلا يزال يردد ذلك الذكر حتى يشم فيه
ونعني بالثمرة انطباع النفس بمقتضاه انطباعا راسخا ثابتا ولذلك
ادلة يستدل بها عليه من حال السالك اكبرها واقواها قيام الظاهر
بوظايف اوصاف الباطن التي تضمنها الذكر تحلية وتزكية وفي كل منزل
من منازل المقامات ابسط الكلام فيما يتعلق به من الاذكار والثمرات والنتايج
والعلامات وغير ذلك بحول الله سبحانه فاذا اوفى بوظايفه ذكر وما

Copyright © King Saud University